ISSN 2170-0796

القراءة بالمماثلة و مستويات الدلالة في شرح التبريزي للمعلقات

أ.عائشة عياشي - د.لحسن كرومي - جامعة بشار

الدلالة اللفظية:

إن القراءة الأولى للنص تستدعي فهم معاني الألفاظ أولا لان " الصورة المعجمية لأي لفظ في اللغة العربية تمثل المرجعية الأولى لهذا اللفظ في القاموس الخطابي ، باعتبار دلالته الأولى ".

فغرابة اللفظ تحول دون تلقي معنى النص بصورة إجمالية " لذا اعترت الكلمة المفردة أهم الوحدات الدلالية، التي تشكل أهم مستوى للوحدات الدلالية "

إن الدلالة اللفظية هي المعنى المركزي أو العلاقة الأساسية بين الدال و المدلول ، ويعد المعجم المرجع الأول الذي يحدده هذه العلاقة ويوضحها ، " لان المنوط به هو إيراد المعنى المشترك أو المركزي الذي يتشعب إلى مجموعة الحالات الجزئية التي تتباين وتتغاير بعدد السياقات التي تحل فيها. ‘‘لقد كان لجهود شراح الشعر العربي القديم في تتبعهم لدلالة الألفاظ معجميا دورا كبيرا في ترصد بعض الظواهر الدلالية " ذلك أن معرفة حدود اللفظة ودلالتها نقدر اختيار الشاعر لها مقابلة بالمترادف أو المشترك ". لذا حرص التبريزي بغرض الإسهام في تنوير النص وتوضيح معانيه في إطار الدلالة اللفظية ، على الاعتماد على خاصية الترادف ، المشترك اللفظي و التضاد.

ا) الترادف:

الترادف لغة يعني تبع وتوالي وركب في الخلف أما اصطلاحا فمعناه " اختلاف الألفاظ في الحروف واتفاقها في المعنى ‘‘ ولقد اهتم اللغويون العرب بهذه الظاهرة وألفوا فيها كتبا ، كما فعل مجد الدين الفيروز أبادي في كتابه المعنون " الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف " كما افرد خلق من الأئمة كتبا في أسماء مخصوصة ، فالفت كتب فألف ابن خالويه كتابا في أسماء الأسد وأخرى في أسماء الحية ... ويرى بعض العلماء أن للترادف درجات متفاوتة من حيث التشابه و الاختلاف أو ما يسمى بالترادف الجزئي والترادف التام الذي عارضه جمع من اللغويين القدامى كابي علي الفارسي واحمد بن فارس وأبو هلال العسكري ، كما يذهب السيوطي إلى " أن كل ما يظن من المترادفات فهو من المتباينات ، إما لان احدهما اسم الذات ولآخر اسم الصفة أو صفة الصفة ..."

وفي هذا المعنى يروى عن أبي علي الفارسي " نكتة صريحة في إنكاره الترادف جاء فيها : كنت بمجلس سيف الدولة بحلب وبالحضرة جماعة من أهل اللغة فيهم ابن خالويه. فقال ابن خالويه : أحفظ للسيف خمسين اسما ، فتبسم أبو علي وقال: ما أحفظ له إلا اسما واحدا ، وهو السيف ، قال ابن خالويه : فأين المهند ، والصارم وكذا وكذا ؟ فقال أبو علي : هذه صفات ؛ وكان الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة ‘‘. ومن المحدثين أنكر بلوم فيلد ، الترادف في حين يؤكد " بالمر " عدم وجود مترادفات حقيقية و انه " ليس هناك كلمتان لهما تماما المعنى نفسه. وسيبدو بعيدا الاحتمال أن كلمتين يحملان المعنى نفسه وتعيش كلتاهما حية في اللغة " ، وهذا ما ذهب إليه كل من " جودمان " و " هاريس " الذي أوضح " انه في إطار اللغة الواحدة لا يوجد ترادف ".

وبالرغم من هذا فلقد اهتم شراح الشعر العربي القديم بالترادف كابن جني وابن الانباري وابن النحاس والتبريزي في شرحه للمعلقات ، الذي اعتمد الترادف بوصفه آلية لتوضيح العلاقة بين الكلمة مفردة ودلالتها .وكان له في ذلك أسلوبه المميز، فقد اعتمد في كثير من الأحيان على المعنى الحقيقي الوارد في المعاجم.

ISSN 2170-0796

فيقول التبريزي شارحا " اجمعوا ، احكموا ، كما قال تعالى (فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ) * أي اعزموا على أمر تفعلونه "
كما نجد لفظ " تنازع " بمعنى " تعاطى " في معلقة لبيد بن ربيعة حين يقول :

لمعفر قهد تنازع شلوه غبس كواسب ما يمن طعامها .

وهو المعنى نفسه الذي تضمنته الآية الكريمة إذ يقول عز وجل (يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا) * أي يتعاطون، وهو نفس المرادف الذي نصادفه في المعاجم و التفاسير.

ولم تكن هذه طريقة التبريزي الوحيدة في شرحه بالمرادف ، بل كثيرا ما تملص من قبضة الدلالة الجاهزة والمتواجدة قبلا في الذهن ، واستعان بنصوص اصبغ عليها صفة " قاعدة الأحكام " أو كما دعاها الأستاذ احمد يوسف بالنصوص التي أخذت " حكم البداهة الرياضية في الاستدلال المنطقي " ، فاتضحت بذلك قيمة القراءة بالمماثلة بالنسبة لعملية الشرح ، بحيث أصبح للنص الغائب سلطة ترجيح الدلالة الأقرب إلى معنى النص المشروح.نجده مثلا يقول في لفظ " يئس " الوارد في معلقة لبيد :

حتى إذا يئس الرماة وأرسلوا غضفا دواجن قافلا أعصامها

" وقيل في يئس : انه بمعنى علم ، أي حتى إذا علم الرماة إنهم لا ينالوها " يتفق هذا وما ذهب إليه الزمخشري في شرح كلمة يئس لكن في معناها المجازي بقوله " ومن المجاز : قد يئست انك رجل صدق بمعنى علمت "

ومن اجل تأكيد المعنى الذي ذهب إليه الشارح بغر إقناع المتلقي بانتقال دلالة اللفظ " يئس من مجال دلالي إلى آخر ، انتقى نص الآية الكريمة :(أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ۗ) *

، أي الم يعلم ويتبين.

أما لفظ " المستأنس " من معلقة النابغة الذبياني : 10- ينظر : جلال الدين السيوطي تفسير سورة يوسف ، ص203.

- تنظر الجلالين ، سورة يونس ، ص11.177

* الطور: 23.

12- ينظر زمخشري أساس البلاغة مادة نزع ، ينظر الجلالين ، ص443 ، وتفسير ابن كثير : ص310.

- - ينظر مقال احمد يوسف : بنية الخطاب البلاغي وسلطة النص الغائب ، القراءة بالمماثلة ، مجلة دراسات سيميائية ، ص60.[13]

- التبريزي : شرح المعلقات ، ص171.

- الزمخشري : أساس البلاغة ، ص710.

* الرعد الآية: 31

- * طه الآية :10

. التبريزي : شرح المعلقات ، ص333.

2- الزمخشري : أساس البلاغة ، مادة انس ،ص22.